في تلك الأيام كانت الجلسة تقتصر على كبار أهل الحي وينضم إليهم الشباب في رمضان

الحكواتي الدمشقي أبو شادي يتذكر أيام زمان

يستمعون الى حكايته.

ابو شادي يروي حكايته في مقهى النوفرة.

□ يعتبر الدمشقي أبو شادي (رشيد الحلاق) نفسه آخر حكواتي في العالم العربي. يقول إن أهل القاهرة كانوا يسمون الحكواتي الراوي، وأهل بغداد القصّاص، وفي تونس يسمونه المحدّث. حاورناه حول ذكريات رمضان في الاربعينات والخمسينات والعادات والتقاليد وطقوس رمضان وفرحة العيد.

□ *دمشق – علي العائد*

● الحكواتي أبو شادي. ما الذي تتذكره عن رمضان في طفولتك؟

– في طفولتي، وقبل بلوغ سن التكليف، كنت اسأل والدي: متى سيأتي رمضان؟ أريد أن أصوم. وكنت أشاهد أهل الحارة وهم يسعون إلى الاسواق ويشترون من الطعام كميات تجعلني اتعجب: كأنهم لا يملكون في بيوتهم شيئاً من الطعام! فكانوا يشترون الجبن والمعقود واللبن المصفّى، وقمر الدين وغير ذلك. في السحور يأكلون الجبن والمعقود (نوع من المربّى)، وكانوا ينقعون قمر الدين ويحولونه إلى شراب، وعندما أسألهم لماذا؟ يجيبون، حتى لا نعطش في النهار. نتسحر معهم، ثم ننام. وفي الصباح لا ننقطع عن السؤال: بابا المي تفطر؟، ماما: عروسة الجبنة تفطر؟ ومتى يضرب مدفع رمضان؟... الخ من هذه الأسئلة. وكان أبي يجيب مرة بنعم، ومرة بلا، فيدور جدل بين أبي وأمي حول ذلك، فيقول لها: ما زالوا صغاراً، ولا داعي للتشدد. كنا نصوم درجات المئذنة (حتى الظهر). أما الأولاد الأكبر سناً، فكانوا يصومون مثل الكبار، ويلعبون في الحارة، وهم يصرخون: يا صايم بالجنة نايم... يا مفطر بالنار بتفطر. وعندما كان يصادف رمضان في الصيف كنا نصوم حتى يتدلّى اللسان من العطش، ونشعر بدوخة وآلام في البطن، فلا نملّ السؤال: كم بقي للمغرب؟ متى يؤذن؟ وأحياناً كنا ننام، ليوقظونا قبل الأذان بقليل.

السكبة

في اليوم الأول تسأل الأم: ماذا سنطبخ؟ وتتفق مع أبي على الشوربة أو الكواج (بنّدورة وبصل)، لكننا نجد في المساء الكبة والمقلوبة والرز والمجدرة والباميا والخبيزة... وتبلغ ثلاثين طبقاً في بعض الأحيان. ونسأل: من أين أتى كل ذلك؟ فتبدأ الأم بالعد، هذا من بيت فلان، وهذا من فلانة... هذه العادة اسمها (السكبة)، وكانت من أجمل العادات الرمضانية في دمشق أيام زمان، ولذلك كنا نقول: رمضان كريم. فحتى الناس الفقراء الذين لا يستطيعون تقديم السكبة، كان جيرانهم يسكبون لهم، فكرامة رمضان تأتي أيضاً من وفرة الطعام فيه في شكل أكبر من بقية الشهور. كانت أصناف الطعام بسيطة، فالبطاطا مثلاً كانت تقطع إلى شرائح وتُقلى بالزيت. الآن يقطعونها أصابع أو مدورة أو شرائح رقيقة ويضيفون إليها الكتشب وغيره. البرق كان قطعاً كبيرة، والكوسا محشي كانت تشبع رجلاً بقطعتين أو ثلاث. اليالنجي وهو يشبه اليبرق (ورق العنب)، لكنه يصنع من الملفوف ويُقلى بالزيت. أيام زمان لم يكن يُرمى من الأكل، لأنه لا يبقى منه شيء، وأشير هنا إلى أن السكبة لا تجوز إلا من رأس الطعام الطازج، ومن المعيب سكب الأكل من طبخ اليوم السابق (البايت).

الحكواتي

● لا بد أن لذكرياتك عن الحكواتي علاقة باختيارك هذه المهنة؟ حدثنا عن ذلك.

– في تلك الأيام، كانت جلسة الحكواتي تقتصر على كبار أهل الحي، وينضم إليهم الشباب في رمضان، تاركين أماكن اللهو، التي تغلق في رمضان. ومنهم من يداوم على ذلك بعد انقضاء رمضان، ومنهم من يعود إلى عاداته القديمة. يزداد، إذاً، عدد رواد المقهى في رمضان، مما يضطر صاحب المقهى إلى زيادة عدد الكراسي. الميزة في حكواتي أيام زمان هي الاسترسال في الحكاية من دون تغيير يناسب رمضان، وتلك الميزة أراها سلبية، ولذلك أركز في ما أقصه على تضمينه العبر التي تذكر الناس بمزايا هذا الشهر دينياً واجتماعياً، وأشدد على أن رمضان ليس امتناعاً عن الطعام والشراب فقط، فالحكواتي يلعب دور المرشد الاجتماعي، فيبث الأفكار النبيلة، أو يُذكر بها، ويحذف من كتابه الأشياء التي لا تناسب حضور الشهر الكريم.

النوفرة

● نحن الآن في مقهى النوفرة. إلى أي عهد يرجع تاريخه؟ وأين يقع؟

– يعود تاريخه إلى حوالى ٣٠٠ سنة. كتب البديري الحلاق في مذكراته عن نزول الثلج قبل أكثر من ٢٠٠ سنة على دمشق، وهو طفل، فكانت من غزارته أن وصل إلى حوالى متر ونصف، ويذكر أن رواق النوفرة هبط من ثقل الثلج عليه.

يقع المقهى في مواجهة الباب الشرقي للجامع الأموي، ونزولاً من جهة الباب إلى درج النوفرة، فالقيمرية، حتى باب توما. ومن محيط المسجد يمكن الوصول إليه من تقاطع جادة الباب القبلي (الجنوبي)، مع امتداد سوق القباقبية والصاغة القديمة وصولاً إلى البزورية وقصر العظم، أو من الباب الغربي، وامتداد سوق الحميدية والمسكية. أما الباب الشمالي للجامع، فيقع في مواجهة منطقة الكلاسة، ومقام صلاح الدين الأيوبي وقبره والمكتبة الظاهرية، وقبر الظاهر بيبرس، وتمتد إلى حي العمارة ومقام السيدة رقية عليها السلام.

المسحر

● هل يختلف المسحر اليوم عن أيام طفولتك؟

– يختلف كثيراً. كان المسحر يدق الباب بنشيده المعروف (يانايم وحد الدايم... يا نايم وحّد الله) واذا كان صاحب البيت متوفياً، ينادي (يا أم أحمد... وحدي الله... فيُسقي الأولاد ليتسحروا... الله يرحم أخي أبو أحمد... ابن الكرم والجود). بعد المغرب يأتي المسحر نفسه ويدور على البيوت ويأخذ طعاماً ونقوداً كثيرة فنسأل: لمن يأخذها؟ فيجيبوننا، للفقراء الذين لا يعرفهم أحد كما يعرفهم المسحر، لأولئك المذكورين بالقرآن (تحسبهم أغنياء من التعفف).

هذا الكلام عشته تماماً، وأذكر لك حادثة تخصني: نحن في بيتنا ثلاثة أمي وأبي وأنا. اشترى أبي علبتين من الغريبة (حلويات)، إحداهما كيلو، والثانية ثلاثة كليوغرامات، وقبل أن نصل إلى البيت أرسلني بالعلبة الكبيرة إلى بيت معين، وعندما عدت سألتني أمي فحدثتها بما جرى، فثار أبي وضربني، ثم أفهمني ألا أكرر ذلك، وعندما احتجت أمي، قال لها: الله لا يغير العوايد عن أهلها.

كنا نلاحق المسحراتي ونغني وراءه (أبو طبلة مرتو حبلى... شو جابت ما جابت شي... أبو طبلة مرتو حبلى...) وكان يلوح بعصاه من بعيد مهدداً. في العيد كان يدور على البيوت ليأخذ عيديته، على إيقاع طبلته (أولادكم بالليل قروشونا... بالرز بحليب طروشونا... كل سنة وإنتو سالمين... ينعاد عليكم بالصحة والسلامة... إن شاء الله دايماً أيامكم أعياد). فيعطونه المقسوم الذي يوزعه بدوره على المحتاجين.

طعام رمضان

● ما هي الأصناف المميزة من الطعام في تلك الفترة؟

– في تلك الأيام لم تكن البرادات موجودة، ولذلك كنا نضع الطعام في الكبك، وهي صينية مثقبة، تعلق في حبل إلى مكان مرتفع لتبقى باردة وبعيدة عن الأيدي. وبالنسبة الى الثلج كنا نشتريه من البائع الذي كان ينادي (الميّة فيجة والثلج معمل). كنا نضع الثلج في الماء أو التمر هندي والعرقسوس أو العصير.

من الحلويات المعروفة أيضاً، النهش والمعزول.

على العموم كان أكلنا بسيطاً، وكانت الفاصوليا العريضة أكلة فاخرة مثلاً، وعلى رغم ذلك كنا نشعر بالسعادة أكثر مما نحن فيه الآن.

تباشير العيد

● وهل تغير العيد في أيامنا هذه عن تلك الأيام أيضاً؟

– في النصف الثاني من رمضان يبدأ المشايخ بتجنيد بعض أهل الحارة لجمع تبرعات للفقراء، عدا الزكاة وفطرة رمضان. ونبدأ بشراء كسوة العيد، فاللباس كان الشروال والصديري، وهناك شروال خاص للصلاة والمناسبات والأعياد، حتى عند الأغنياء. نفرح بالعيد، ونحلم بالمرجوحة والدويخة، ونتفرج على (أبو راس مقطوع)، ونشتري الألعاب من عيدياتنا. ليلة العيد نضع ملابسنا الجديدة على المخدة، ونتوسد السبّاط (الحذاء) وننام عليه (وهو جديد ويلمع). عندما نستيقظ نذهب إلى صلاة العيد، وبعد ذلك إلى سوق الحميدية، لنتفرج على (السلاملك) وهي فرقة المراسيم، التي تعزف على الطبول والآلات النحاسية، ونشاهد قائد الفرقة وهو يلعب بالحكم (العصا)، وعندما يأتي الرئيس كنا نصفق ونصفر، وفي أيام المرحوم الرئيس شكري القوتلي، كان ينزل في أول سوق الحميدية ويسلم على الناس في طريقه إلى الجامع الأموي.

أبو راس مقطوع من الألعاب المحببة إلى الصغار، فكنا نرى رأساً يخرج من صندوق وهو يتكلم!

كنا نأكل الفول النابت، والمخلل، ونشاهد السعدان وهو يقلد نوم العجائز أو الصبايا أو عجين الفلاحة، وعندما نعود إلى البيت نجد العقوبة بانتظارنا لأننا وسخنا ثيابنا.

كانت الفرحة (مالية قلوب العالم). الآن كثير من الفقراء لا يشعرون بفرحة العيد، ومع توسع المدن لم يعد أحد يشعر بهم، والجمعيات الخيرية لا تعوض عن شعور الناس ببعضهم بعضاً مهما فعلت.

ليل رمضان

● ماذا عن ليالي رمضان؟

– الكبار يذهبون إلى الجامع لصلاة العشاء والتراويح، ثم إلى المقهى لسماع الحكواتي، وعندما كان أبي يعود إلى البيت، كنا نطلب منه أن يقص علينا حكاية، من قصص الأنبياء أو قصة المعراج، أو من ما سمعه من الحكواتي. كان يسترسل في القصة إلى أن ينام وهو يحكي، فننتظره في الليلة التالية ليتابع القصة، وهو يقول: أين وصلنا؟

أما النساء فكنّ يتزاورن للتهنئة برمضان، ومنهن من تذهب لصلاة التراويح في الجامع، ويجتمعن أحياناً في بيت ويصلين التراويح جماعة.

ضرب الشواكر

● عودة إلى الحكواتي. ما الذي أضفته من أسلوبك إلى مهنة الحكواتي؟

– كان الحكواتي يروي القصة حرفياً كما هي، حتى لو كان فيها دعوات غير أخلاقية. أنا لا أقبل ذلك، فأرفض الطائفية، وعندي (الدين لله والوطن للجميع)، فكنت أغير من تفاصيل الحكاية بحيث أحملها قيمة أخلاقية، وأتجاوز كل ما يدعو إلى التفرقة. كذلك أحاول مجاملة الحضور، وعندما أعرف أنك بيروتي، أحوّر القصة لأجعل الإفرنج يحتلون بيروت، فيأتي الظاهر بيبرس ليطرد المحتلين ويحررها، وأحاول مخاطبة السواح، على قدر ما أعرف، بلغتهم، فبضع كلمات تضفي على الترحيب نوعاً من الحرارة.

الحكواتي في أيامنا تلك كان يقرأ فقط، لكن المستمعين كانوا جيدين، فيتمسكون به حتى النهاية، وهنا الفرق، لأن مستمعي هذه الأيام متطلباتهم كثيرة، ولذلك امثل الحكاية، واقوم بحركات كثيرة حتى اشدهم إليّ. وعندما يقع ابراهيم سيد العذارى، وهو عطشان في المعركة، ويطلب من صديقه الماء، يقول الأعداء: إذا شرب سيظل يحاربنا شهراً، وهنا أتذكر سيدنا الحسين في كربلاء، عندما يمنعون الماء عنه ويقتلونه. يقول سيد العذارى: (ليَ يا سعد لي... اسمع كلامي يا مكحل وافهمو إني على ضرب الشواكر علقما. يا سعد اسقيني نقطة مي... وتفرج على ضربات خيّك). الشواكر هي السيوف. عندما أروي ذلك أبكي وأتصور هذا الموقف، وموقف سيدنا الحسين. وهذا ما لم يكن يفعله حكواتي أيام زمان.

رمضان والعيد في بيت أحمد أمين: مأكولات ومشروبات اقترنت بالصوم

حسين أحمد أمين *

■ لا أذكر متى سمعتُ عن الله للمرة الأولى، أو متى أو كيف بات لي دين.

غير أن أقدم ما أذكره في هذا الصدد، أن سحور الأهل في رمضان كان يفتنني. كنا نلح على والدتي متوسلين أن توقظنا للسحور كما توقظ الكبار. فكانت ترفض مشفقة حيناً، وتقبل مشفقة حيناً. فإن رفضت هدّدناها بالصوم من دون سحور، وإن قبلت تناولنا السحور ولا نصوم! فروضة الأطفال تصر على إذن كتابي من ولي الأمر بالصيام، وإلا أجبرت الطفل على تناول اللبن والبسكويت صباحاً، والغداء ظهراً. ووالدي يأبى منح هذا الإذن اشفاقاً منه على نموّنا. غير أنه في أيام الجمعة والاجازات يسمح لنا بالصيام نصف نهار، ويقول إن من صام من الصغار نصف نهار فكأنما صام النهار كله، له ثواب كامل، ثم تأتي والدتي فتفتي بأن من صام أول رمضان ومنتصفه وآخره فكأنما صام الشهر كله، له ثواب كامل فكان صومنا في طفولتنا لا يزيد في الغالب على ثلاثة أنصاف أيام!

فالسحور إذاً هو ما كان يجتذبنا، وتغير نظام اليوم، والمأكولات والمشروبات الشهية التي اقترنت لسبب لا يعلمه إلا الله بشهر رمضان، كالقطائف والخشاف وقمر الدين والمدفع يعلن لحظة الإفطار، والفوانيس المصنوعة من الصفيح المزخرف والزجاج بهيج الألوان، نوقد الشمع فيها ونطوف بها في الطرقات، وغناؤنا مع الخدم: «يا فاطر رمضان، يا خاسر دينك. كلبتنا السودا، تقطع مصارينك»!، وإخراج ألسنتنا للغير حتى يعرف من قدر احمرارها ما إذا كنا صائمين أو غير صائمين، و«المسحراتي» بطبلته يعرف سكان المنطقة التي يمر بها فرداً فرداً وينادي عليهم بأسمائهم حتى يهبوا من نومهم لتناول طعام السحور، وزيارات الأهل والأصدقاء والجيران نقدم لهم صنوف النُقَل المستوردة والمرطبات. والسهرات الممتدة إلى ما بعد منتصف الليل أو حتى إلى ساعة إطلاق مدفع الإمساك، والأغاني الرمضانية مثل «وحوي يا وحوي» و«رمضان جانا» تصلنا من المذياع الضخم المثبت على الحائط في الصالة.

لم يكن وقتها ثمة تلفزيون ينسف الحياة الاجتماعية بمسلسلاته نسفاً «فيهدم الملذات ويفرق الجماعات». بل بتنا الآن إذا دعونا أحداً لزيارتنا بعد الإفطار سألنا: «بعد المسلسل أم قبله؟» فإن حضر قبله كانت زيارته مشروطة السماح له بمشاهدة المسلسل عندنا، وربما ما قبله ايضاً من برامج وما بعده، فلا تكاد تتاح الفرصة للحديث. أما الفوازير فقد صار أحفادنا يتساءلون عن كيفية احتمال الصحابة والمسلمين الأوائل لشهر الصوم من دون فوازير. وأما فوانيسنا فقد حل محلها فوانيس كهربائية تضيء بالضغط على زرار، لا شعلة فيها ولا طعم لها، شأن سائر ما اتحفتنا به المدنية الحديثة. وأما المسحراتي فقد استُغني عنه بالمنبه يرن جرسه قبل ساعة أو نصف ساعة من وقت السحور، فيوقظ من لا يعرف له اسماً. وأما الخدم في مثل سننا ممن كانوا شركاء لهونا ومرحنا، ورفاق طوافنا بالجيران نغني: «لولا فلان ما جينا، ولا تعبنا رجلينا»، فقد غدوا في زمننا هذا في ندرة لبن العصفور.

وجد الخدم فرصتهم في رمضان – خلال ساعات طوافنا في المساء بالفوانيس الموقدة في الطرقات – كي ينقلوا إلينا مفاهيمهم الدينية. وكانت الكلبة السوداء التي حذرونا من أنها سنتهش مصارين المفطرين أول فكرة كونوها عن الجحيم ثم تطوع بعضهم فصوّر لنا الجحيم على أنه حفرة هائلة تلتهب فيها النيران، يعلوها حبل دقيق رقيق فكأنما هو شعرة أو خيط. وعلى الناس جميعاً يوم القيامة أن يسيروا فوق هذا الخيط. فأما من كان مؤمناً وصلحت أعماله، وأقام الصلاة وأدى الزكاة وصام رمضان، فسيرى الخيط وكأنه قنطرة عريضة يعبرها إلى الجنة في ثقة وثبات قدم. وأما من بغى وفسد فستزل قدمه بعد خطوة أو خطوتين، فيهوى إلى الحفرة يتردى فيها أبد الآبدين. فما أطلعني على هذه الصورة حتى وجدتني لأيام عدة أتدرب قبل ساعة الإفطار على السير فوق القضيب الحديد الرفيع بظهر السرير، استعداداً لليوم الآخر. ولم أنته إلا بعد أن سقطت سقطة عنيفة من فوقه كاد أن ينكسر لها ظهري.

هتف بي أخي جلال حين شاهدني أقع:

– وستكون سقطتك في الآخرة أبشع وأشنع إن شاء الله!

ومن الغريب الخليق بالضحك، أن والدي الذي كان يحرص أشد الحرص في أحاديثه معنا على أن ينمي فينا نظرة إلى الدين مستنيرة واسعة الأفق، لا تشوبها أوهام أو خرافات أو تعصب، لم يُعن أن يحول بين الخدم وبين حديثهم إلينا في الدين. فإذا بنا وقد انتقلت إلينا منهم أبشع الصور. فمن والدي نسمع أن الجنة هي في حقيقة الأمر طمأنينة الروح وسكينتها. والجحيم هو العذاب الناجم عن تأنيب الضمير ووخزه. ومن الخدم نسمع أن الجنة هي المكان الذي نأكل فيه أفخر أنواع الفاكهة وصنوف الحلوى، وتقدم فيه إلينا القطائف والخشاف وقمر الدين كل يوم من السنة لا في شهر رمضان فحسب. أما الجحيم فهو حيث يُجبرنا الزبانية على تجرع مقادير هائلة من الماء المغلي، يفقأون أعيننا بحرابهم، ثم يعيدون خلقها ليسملوها من جديد. والمسيحيون عند أبي هم عباد الله وأهل الكتاب، وهم عند الخدم لا يختلفون عن الكفار في شيء، عظامهم زرقاء، ومصيرهم الكلبة السوداء، ولا أنكر أن تأثير أحاديث الخدم في نفوسنا كان في طفولتنا أقوى من تأثير أحاديث والدي في الدين. فالمانغو وقمر الدين كانا أقرب إلى فهمنا من سكينة الروح، وكذلك الماء المغلي الذي كان يؤلمنا ويعذبنا كلما استدعينا للاستحمام.

أحمد أمين.

عيد الفطر

ثم يعقب رمضان العيد، ولم يكن يُفسد علينا ما نسميه خطأً بيوم «وقفة» عيد الفطر سوى إرسالنا إلى الحلاق. فوالدي يصر على أن نستقبل العيد برؤوس «نظيفة». وضياع شعرنا إنما كان يعني عندنا ضياع فرص الوسامة والأناقة. وقد كنا نكذب أحياناً فندعي أن صالون الحلاق مغلق، فإن أرسل والدي خادماً يستوضح الخبر وأتاه بكذبنا، عاقبنا بأن يحلق لنا رؤوسنا بنفسه فتزداد وجوهنا بشاعة. فكنا عادة نفضل الاستسلام والطاعة، وإذ نجلس بين يدي الحلاق، نتوسل إليه أن يترفق بشعرنا، وأن يترك لنا منه قدراً معقولاً، بينما تغمز الخادمة له ألا يترفق. والحلاق بطبيعة الحال أميل إلى إطاعة الخادمة، فهي تحمل أوامر السيد. وقد يأمر السيد بإعادتنا اليه إن لم يحلق لنا الكفاية، فيكون في ذلك له عناء اضافي، دون أجر إضافي. وإذ نهبط في النهاية من الخشبة المرتفعة التي تُضاف للأطفال إلى المقعد، ونتأمل وجوهنا في المرآة، تدمع أعيننا من الغيظ، ونخرج إلى الطريق أذلاء، بينما تضحك الخادمة في تشفٍ ومرح.

حتى إذا وصلنا إلى البيت، فحص أبي رؤوسنا فرداً فرداً، فيبدي استياءه غالباً، ورضاءه في القليل النادر، ثم يأمر بالحمام أن يُعد. وما كان الاستحمام بأخف عبئاً علينا من الحلاقة، فالماء ساخن نصرخ لسخونته، والليفة خشنة تُلهب جلودنا. وقد كانت والدتي في السنوات الأولى تتولى أمرنا، فكانت إذا صرخنا تترفق بنا، فتضيف ماء بارداً أو تخفف من تليفها أجسامنا. فلما كبرنا بعض الشيء تولى أبي عنها هذه المهمة، فلم نكن نصرخ إلا إذا كان الألم لا يُحتمل. وهو يدخل الحمام ومعه ثلاثة منا أو أربعة، فنخلع ملابسنا، ويغطس هو في الحوض الضخم الممتلئ بالماء، فنتسلق الحوض وراءه كالقطط الصغيرة حتى نقع فيه. وكنا نراقب جسمه الضخم العاري في رهبة وتعجب، ونتساءل في أنفسنا عما اذا كانت أجسامنا حين نكبر ستصبح رهيبة مهيبة مشعرة كهذا الجسم الذي ملأ الحوض فلم يترك لنا سوى أركان ضيقة منه حُشرنا فيها حشراً، والماء المختلط بالصابون يدخل عيوننا فيلهبها عند كل حركة.

وبانتهاء الاستحمام ينتهي جانب العذاب من يوم «الوقفة» فها هي الحلل الجديدة قد وصلت من عند الخياط ملفوفة بالورق المرشق بالدبابيس. وها هو أبي انفرد في غرفته، نسمعه ينزع الأغلفة عن علب كثيرة، نعلم ما بها ولا نتحدث عنها، حتى يكون التوزيع منها في الغد مفاجأة سارة لنا، حتى إذا ما هبط المساء، أتى كل منا بكرسي من صالة الطعام، يضعه بجوار سريره، فنعلق سترة الحلة الجديدة على ظهر الكرسي، وعليها رباط العنق، وعلى المقعد نضع السروال وفوقه القميص المكوي والحزام في شكل دائرة، وتحت الكرسي الحذاء الجديد وفي كل فردة منه فردة من الجورب الجديد. وكانت عملية ترتيب الملابس فوق الكرسي وتحته من أحب الأشياء إلينا لا نتخيل عيداً من دونها. ولا أعدو الصدق إذا قلت إن العيد فقد بهجته منذ تخلينا عن هذه العادة. وكان إذا «كبر» أحدنا وأبطل هذه العادة، نظرنا إليه نظرة اشمئزاز وضيق. فهو يضحك منا ويقول إننا لا نزال أطفالاً صغاراً، ونحن نشتمه ونقول له إنه قد بات يظن نفسه كبيراً، وأن الخسارة خسارته.

فلا نكاد ننتهي من «تحضير الكرسي» حتى نقفز إلى الأسرّة للنوم ولو كان في السماء بقية من نور. فغداً نقوم قبيل الفجر، فأما من ظن نفسه كبيراً فقد أبطل عادة الاستيقاظ المبكر هي الأخرى، فلا ينهض من فراشه إلا مرغماً، منتفخ العين، وقد تم إعداد الإفطار له، وأما المتمسكون بطفولتهم فينهضون في الرابعة فيغتسلون، ويشرعون في ارتداء الملابس قطعة قطعة في تمهل وتلذذ، استعداداً للتوجه إلى المسجد. وهناك نردد مع المرددين: «الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا»، وإذ نفرغ من الصلاة، ونصافح من يكون عن يميننا وعن يسارنا متمتمين «حرماً، جمعاً، حرماً، جماعاً»، نسرع بالتقاط أحذيتنا الجديدة التي كنا أثناء الصلاة نراقبها من طرف أعيننا للاطمئنان عليها، ثم نعود إلى المنزل عَدْوا، فأبي الآن في الانتظار بغرفته وقد استيقظ وفتح نوافذها يستقبل النور، نهنئه ويقبلنا، ويفتح درجاً يُخرج منه نقوداً ورقية وفضية جديدة تلمع من فرط جدّتها، فيسلم كلاً منها «عيديته» ثم يفتح خزانته ذات السلسلة الحديدية، فيخرج صنوف الحلوى واللعب، وإذ يأخذ كلٌ منا نصيبه، نجري إلى المطبخ فنساعد الخدم في إعداد المائدة، وحمل المأكولات وصحون الكعك والغريّبة اليها، ونتوجه لإيقاظ من لم يكن قد استيقظ بعد من الإخوة «الكبار».

* كاتب مصري.

المدينة	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
مكة المكرمة	٥,٢٥	٦,٤٩	١٢,١٥	١٥,١٩	١٧,٤١	١٩,٤١
المدينة المنورة	٥,٣٠	٦,٥٦	١٢,١٥	١٥,١٥	١٧,٣٦	١٩,٣٦
القدس المحتلة	٥,٠٠	٦,٢٦	١١,٣٥	١٤,٢٠	١٦,٣٨	١٨,٠٠
ابو ظبي	٥,٣١	٦,٥٣	١٢,١٦	١٥,١٦	١٧,٣٧	١٨,٥٢
المنامة	٤,٥٠	٦,١٢	١١,٣٣	١٤,٣٠	١٦,٤٩	١٨,٠٧
الجزائر	٦,١٥	٧,٤٧	١٢,٤٣	١٥,١٦	١٧,٣٤	١٩,٠٠
الخرطوم	٤,٤٧	٦,٠٢	١١,٤٥	١٤,٥٨	١٧,٢٢	١٨,٣٣
الكويت	٥,٠٨	٦,٣١	١١,٤٥	١٤,٣٥	١٦,٥٥	١٨,١٤
الرباط	٥,٥٠	٧,١٩	١٢,٢٢	١٥,٠١	١٧,٢١	١٨,٤٥
الرياض	٥,٠٣	٦,٢٨	١١,٤٧	١٤,٤٨	١٧,٠٧	١٩,٠٧
الدوحة	٤,٤٦	٦,٠٥	١١,٢٨	١٤,٢٦	١٦,٤٨	١٨,٠٣
القاهرة	٥,٠٥	٦,٣٨	١١,٥٠	١٤,٣٩	١٦,٥٧	١٨,٢٢
بيروت	٥,٠١	٦,٣٠	١١,٣٣	١٤,١٣	١٦,٣٢	١٧,٥٦
بغداد	٥,٢٦	٦,٥٣	١١,٥٨	١٤,٣٩	١٦,٥٧	١٨,٢١
تونس	٥,٤٦	٧,١٨	١٢,١٥	١٤,٤٦	١٧,٠٦	١٨,٣٣
جيبوتي	٥,٠٠	٦,١٤	١٢,٠٣	١٥,٢٠	١٧,٤٧	١٨,٥٧
دمشق	٤,٥٨	٦,٢٦	١١,٣٠	١٤,١١	١٦,٣٠	١٧,٥٢
دبي	٥,٣٠	٦,٥٠	١٢,١٣	١٥,١١	١٧,٣٢	١٨,٤٨
صنعاء	٥,٠٠	٦,١٦	١١,٥٨	١٥,١١	١٧,٣٦	١٨,٤٧
طرابلس الغرب	٥,٣٠	٦,٥٧	١٢,٠١	١٤,٤٥	١٧,٠٣	١٨,٢٦
عمان	٤,٥٨	٦,٢٤	١١,٣١	١٤,١٦	١٦,٣٦	١٧,٥٦
مسقط	٥,١٥	٦,٣٤	١٢,٠١	١٥,٠١	١٧,٢٢	١٨,٣٧
مقديشو	٤,٣٤	٥,٤٨	١١,٥٤	١٥,١٨	١٧,٥٣	١٩,٠٣
نواكشوط	٦,٠٥	٧,٢٣	١٢,٥٨	١٦,٠٧	١٨,٣٢	١٩,٤٤
انقرة	٥,٢٠	٦,٥٧	١١,٤٣	١٤,٠٧	١٦,٢٦	١٧,٥٦
طهران	٥,٢٩	٦,٥٩	١١,٥٦	١٤,٣٣	١٦,٥٢	١٨,١٧
اثينا	٥,٥٥	٧,٢٨	١٢,٢٠	١٤,٥٠	١٧,٠٨	١٨,٣٧
برلين	٦,١١	٨,٠٣	١٢,٠١	١٣,٣٧	١٥,٥٦	١٧,٤١
بروكسيل	٦,٤١	٨,٣١	١٢,٣٧	١٤,٢٢	١٦,٤٠	١٨,٢٥
باريس	٦,٤٢	٨,٣١	١٢,٤٦	١٤,٣٩	١٦,٥٦	١٨,٤٠
جنيف	٦,١٨	٨,٠٥	١٢,٣١	١٤,٣٣	١٦,٥٢	١٨,٣٣
روما	٥,٤٥	٧,٢٥	١٢,٠٥	١٤,٢٢	١٦,٤١	١٨,١٥
ساراييفو	٥,٢٤	٨,٠٦	١١,٤١	١٣,٥٢	١٦,١١	١٧,٤٨
ستوكهولم	٦,٢٧	٨,٣٠	١١,٤٣	١٢,٤١	١٤,٥٢	١٦,٤٨
كوبنهاغن	٦,٢٨	٨,٢٤	١٢,٠٥	١٣,٢٤	١٥,٤١	١٧,٣٠
لندن	٦,٠٠	٧,٥٣	١١,٥٦	١٣,٣٧	١٥,٥٤	١٧,٤٠
مدريد	٦,٤٧	٨,٢٤	١٣,٠٩	١٥,٣١	١٧,٥١	١٩,٢٢
نيقوسيا	٥,١٢	٦,٤٢	١١,٤١	١٤,١٨	١٦,٣٧	١٨,٠٢
واشنطن	٥,٣٩	٧,١٤	١٢,٠٣	١٤,٣٠	١٦,٤٨	١٨,١٨
اوتاوا	٥,٤٤	٧,٢٩	١١,٥٨	١٤,٠٣	١٦,٢٢	١٨,٠٢

* تقويم المركز الاسلامي في آخن ـ المانيا. ** الرجاء، مرعاة التوقيت الصيفي.